الخاطر الأول ويطبع الثاني وقد يتقدم إلهام الملك بالأمر بالخير ثم يقدم بعده خاطر
العدو ويلتبس عنه والتبس والأمر ملاقيه بالتناجي محنة من الله تعالى للعبد ليتبين
كيف يعمل وحسرانا للعدو ومغلبه أن يطبع الخاطر الأول ويعصي الخاطر الثاني ثم تترى
الخواطر من إلهام الملك بالخير ومن وسوسة العدو بالشر وقد يتعاونان ذلك ما ضعف خاطر
الخير لقوة الرغبة في الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفي الترديد والنفر
منهما والتعليل والتناجي بهما التفاوت الأحكام والإرادة من الحاكم ومن قبيل تقلب القلوب
وغرائب الأحكام بالمشيئة لأن له في خزائن الخير خزائن الشر أمثالا وله في خزائن
الشر خزائن الخير إن أحب أن يجيء ليلا فيمكن إلى سواه ولا يزال العبد يحمل منه
أبدا فإنما يشهد العارف ذلك لما لم ينقطع بخير ولم يزل به أبدا لأنه لا يأمن مكر الله
تقليب خزائن الشر من خزائن الخير إنما عليه أبدا ولم ييأس من شر عليه أبدا لأنه
يرجو تقليب خزائن الخير من خزائن الشر فيكون بين الخوف والرجاء لا يدري ما يأتيه
لا من غرائب العلوم ولطائف الفهوم وغرائب النقل وعجائب الأنوار من تقليب الحكيم
الجبار فما كان العبد يجد بعد خاطر الشر خاطر خير بينهما عنها فهو منظور إليه
منتظر لما به وهذا هو الواعظ الغالب في القلب والزاجر المؤنب للعقل وقد تتراءى
خواطر الشر من النفس والهوى ولا ينفعه إخلاص خير من الملك وهذا علامة البعد
وقساوة القلب وقد يتتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويبطل في العبد
من خاطر الهوى والنفس وهذا علامة القرب وهو حال المقربين وقد تلج خواطر
العدو وسوسة بالخير والشر ابتلاء من الله تعالى للعبد وحيلة من العدو ومكرا
من النفس يريد العدو بذلك الشر أو يخرجه إلى الإثم أو يقطعه بذلك عن واجب
أو يشغله به عن الأفضل عن ربه في الحال فيكون ظاهره برا وباطنه إثما ويكون أوله
خيرا وآخره شرا ويقصد العدو من ذلك باطنه وآخره وشهوة النفس في ذلك ...
وفيها هامر لبسها الظاهر في الخير زيفا وتحوها وله في البر تحسينا وهذا من أدق ما
يبتلى به العاملون ولا يعرف بواطنه وسرائره إلا العالمون كما قال تعالى وما يعقلها
إلا العالمون ... فأما خواطر الملك فكلها في الخير صحيح وبر محض على كل
حال إذا ورد لأن الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة ولكن تنقطع خواطر الملك
من القلب إذا استمر على نسوة ومداومة وصيته من المنقطع عن ... بين القلب
وبين نوازع العدو اللعين ويتجلى العدو بهوى النفس فيستحوذ ويقفو بالعبد
نعوذ بالله من إبعاده وعدم خيره وإشقائه ولا يزال العبد مع الكلام المكلم في مقام
الإيمان فإذا رجع إلى مقام اليقين تولاه الله تعالى بواسطة أنوار الروح وكان الروح
مكان القلب الحق حتى يرد عليه من الله تعالى بشرا ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون
له حتى يفني خواطر النفس بالهوى ولا يبقى فيها إلا قيه وتطوى النفس فيدرج

في الروح فلا أنظم منها داعية ثم تنير الله تعالى بنور اليقين فيسمع له نور
اليقين من خزائن الغيب بمكاشفة النجوم فيشهد العبد منها حقيقة الحق بالحق
وما ينفذ الغيب بين كونه ووحده كينونة المحجوب وما لا يصلح بعونه له كشفه
إلا لأهله ولا يسأل عنه وهذا يكون في مقام التوحيد وخصيصة المقربين

ذكر نبأ آخر من تفصيل المعاني

وكل عمل وإن قل لا بد فيه من ثلاثة معان من استشعار الله تعالى بنيته أولا وحمل التوفيق
وهو لا يفعل إلا بنية يجمع همته وينوي الشيء ثم القوة وهي استعمال لقيام الحركة البنية هي
أول العمل ثم الصبر وهو تمام العمل الذي به يتم وقد رد الله عز وجل هذه الأصول النبي
يطلع عليها كل عمل إليه **فقال سبحانه** وما توفيقي إلا بالله وقال ما شاء
الله لا قوة إلا بالله ثم قال عز وجل واصبر وما صبرك إلا بالله وقد أجمل الله عز وجل
ذكر تقليب الكون بمشيئته في قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار والمعنى بما فيهما لأنهما
ظرفان للأشياء وعبر عنهما أيضا كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار والمعنى مكركم في الليل
والنهار فيهما فعبر بهما عن مكرهم لأنهما مكان لمكرهم وكذلك قوله تعالى وله ما سكن في
الليل والنهار فيهما وهما أحرفهما أي ما أقام من السكنى والثاني ما سكن من السكون
والمعاني كالسكون لأن الحركة ... والقيام والنوم ...
حادث ... أن الله تعالى واجب ويجوز أيضا ذكر السكون ليستدل به على الحركة
لأنه ضدها كما قال سرابيل تقيكم الحر وهي أيضا تقي البرد فذكر أحد الوصفين
ليستدل به على الآخر وقال سبحانه وتعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم

وكان قسم رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب لما شهد من عظيم القدرة ولطيف الصنع في
التقليب ولما رآه من سرعة تقلبات القدرة بالمراد في المقلبات لما لم يشهده سواه فجعله
قسما له تعظيما للقدرة المخلوق به وخوفا من سوابق العلم في التقليب وكان يقول صلى الله
عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أتخاف يا رسول الله قال وما
يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. **وفي لفظ
حديث آخر** إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه وقد روي عنه
صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وفي خبر آخر مثل
القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليا وفي الخبر المشهور مثل القلب كمثل ريشة بأرض

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)